Coptology

"اسم الرب يسوع"

ذكرى نياحة البابا كيرلس السادس

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٧

www.coptology.org

أحاطت كثرة المعجزات بشخصك، حتى كاد البعض ينسى أنك رجل صلاة، لم نرَ مثله، لا في جيله، ولا في الذين جاءوا بعده؛ لأنه كان يصلي كثيراً وكثيراً جداً، ويتكلم قليلاً وقليلاً جداً، ووجد في صلوات الكنيسة أُم الشهداء حياته وفكره وشركته في حياة الثالوث. لم أكتب إلا القليل من الكثير لأنني كنت ولا زلت أعتقد بأن لسان الشر لن يسكت، وسوف يعتقد الذين ربما شاهدوه بطريركاً مرة أو عدة مرات، أنهم عرفوه، ولذلك جعلوا من أنفسهم حكاماً على مسائل خاصة لم يسمعوها ولم يكن لهم نصيب فيها.

أحد مفاتيح شخصية البابا كيرلس السادس هو مار اسحق السرياني، فقد كان يدرسه ويمارس ما يدرسه، وكان إسحق السرياني هو معلم شيوخ دير البراموس –كما سمعت منه هو– وفي كل ما كتب عن قداسة البابا كيرلس لم يكتب أحد أن اسحق السرياني هو المصدر الأول للحياة النسكية، ولعل أهم ما أخذته عنه هو الإفراز أو التمييز الذي أنقذني من مصاعب كثيرة.

أيقونات اسم الرب في الإبصاليات:

هي أيقونات عقلية، أي صوَرٌ رُسِمت بالكلمات تعود إلى أقوال الرب يسوع المسيح نفسه مثل:

"ظلل عليَّ بظل جناحيك يا ربي يسوع" (أبصالية الأحد).

وهي تعود إلى قول الرب، وهو يبكي على أورشليم وإلى مزمور ٩١ معاً: "كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها"، وفي عبارة المزمور: "الساكن في

ستر العلي في ظل القدير يبيت". والذي يطلب هذه الطلبة، وصورة الرب الحامي له هو نفسه، يقول بعد ذلك:

"حلو هو نيرك وحملك هين (حلو)"، لكي ينتهي بطلب قدرة الرب على أن تبيد العدو: "فَرِّق عني كل الأبالسة".

المسيحي المنتصر بالرب:

تلك أيقونة كتابية من الأقوال الإلهية:

"كلُّ مَن يقول يا ربي يسوع، كمَن بيده سيف يصرع العدو" (إبصالية الاثنين).

لأن سيف الروح هنا هو كلمة الله (أفسس ٥: ١٧)، ولكن سيف الروح هو أيضاً الاعتراف بالمسيح ربَّاً ومخلصاً يصرع به العدو، أيَّ عدو، أي كل روح مضاد للرب يسوع. والاعتراف هو اعترافُ المحارِب القوي الذي يرنم:

"الله هو عمانوئيل (الله معنا) الطعام الحقيقي (طعام الحياة) شجرة الحياة العديمة الموت"، وهي عديمة الموت؛ لأنه الجسد المتألِّه، وهو ما يجعل المعترف بالإيمان يقول:

"يقوم حولك الشاروبيم والسارافيم ولا يستطيعون أن ينظرونك، ونحن ننظرك كل يوم على المذبح، ونتناول من جسدك ودمك الكريمين".

فهكذا فضَّلَنا الله على القوات السماوية.

وهكذا كان يصلي كل يوم، ومع دورة اليوم:

"تغيب الشمس والقمر في زمانهما، وأنت هو أنت، وسنوك لن تفنى"؛ لكي تبرز الأيقونة الروحية:

"كمثل طبيبٍ حقيقي ومشفٍ داويت جميع أمراضنا".

اسم الرب يسوع قوتٌ وغذاء:

كان يحب إبصالية الثلاثاء، ويجد أنها خاصةٌ بالرهبان والمتوحِّدين، ولكنها لم تنسَ: "سكان الأرض"، هؤلاء "التائهين في الجبال المقفرة بالجوع والعطش والبرد والصقيع، ولكن اسم الرب يسوع هو يكون لهم طعام حياة تقتات به نفوسهم وأجسادهم معاً. هو يكون لهم ينبوع ماء حياة حلو في حناجرهم أكثر من العسل".

سألته إذا كانت هذه العبارات فيها مبالغة، وابتسم وقال: "لا تحكم على شيء لا تعرفه". وصمت. ومرَّت أيامٌ، وكان يوم ثلاثاء، وسألني إذا كنت صليت الإبصالية، فقلت له: نعم. وسألني: فيها مبالغة؟ فقلت له: لا أعرف، فقال: اسم الرب ليس مجرد اسمٌ يُقال، بل ينطق به روح الحياة، الروح القدس؛ لأننا نقول في الأوشية: "اسمك القدوس الذي نقوله، فتحيا نفوسنا بروحك القدوس". والنفس التي تحيا بالروح القدس ينال جسدها ذات الحياة؛ لأن الإنسان واحد لا ينقسم إلى قسمين. ومَن ينطق اسم الحياة، أي ربنا يسوع، ينال غذاءً للروح والجسد، والمسألة عندك هي مسألة وقت، ولازم تسمع وتفهم كويس باقي الإبصالية:

"إذا اخبروا به تفرح قلوبهم"، ليس فقط لأنه اسم الخلاص والمخلص، ولكن لأنه اسمُ مَن يحتوي، هو اسم المحبوب ابن الآب، وباقي الكلام:

"وتزهر أجسادهم، وإذا نطقوا به تستنير عقولهم، وترتفع إلى العلاء قلوبهم". جرِّب يا حبيب أبوك، وأنت تشوف، يمكن بعد مدة، ويمكن على طول، حسب نعمة الرب.

الأشجار عند مجاري المياه (إبصالية الأربعاء):

ربطت الأيقونة العقلية ما جاء في المزمور الأول مع تجسد الرب يسوع، وصار "مجرى المياه" بالمفرد وليس بالجمع، هو مخلصنا ربنا يسوع المسيح. والسبب واضح في أن الربَّ واحد، وأن المجاري هي شهادات الأسفار لمجرى واحد هو ربنا يسوع المسيح، ولذلك تقول نفس الإبصالية إن الكتب المقدسة "هي أنفاس الله، وهي التي تروي النفس لعمل الرحمة، وتعزِّي الفقراء بأيقونة بالغة الجمال: "فإن كنا معوزين من أموال هذا العالم وليس لنا شيء لكي نعطيه"، حالة العوز الحقيقي الذي لا نخجل منه؛ لأن "الفقر ليس عيباً"، كما كان يقول، ولذلك "لنا الجوهرة اللؤلؤة الكثيرة الثمن، الاسم الحلو المملوء مجداً الذي لربنا يسوع المسيح، هذا الإسم: إذا ما لازمناه في إنساننا الداخلي، فهو يجعلنا أغنياء حتى نعطي آخرين".

ماذا تفعل معنا هذه الأيقونات الروحية؟

قال: "خليك مُحارِب روحي شديد. الفكر لا يغلبه إلا فكر أقوى منه، وهو فكر خاص بالرب. ولذلك، الإبصاليات تحتوي على صور عقلية أو أيقونات روحية قادرة على طرد كل فكر غريب حسب صلاة الأوشية: "وكل فكر لا يرضي صلاحك فليُبعَد عنا".

وكان اكتشاف الصلاة التي تُعرَف باسم صلاة الخضوع في نهاية القداس الكيرلسي، وربط هذه الصلاة بكل من الإبصاليات، بل والثيئوطوكيات هو رحلة طويلة سوف أُسجِّلها، ولكن يكفي الآن أن نلاحظ:

"طهِّر إنساننا الداخلي كطُهر ابنك الوحيد، هذا الذي نضمر أن نأخذه. فليهرب عنا الزنا وكل فكر نجس من أجل الله الذي (تجسد) من العذراء"، ومن هنا جاءت الرحلة مع الثيئوطوكيات.

"الافتخار والشـــر الأول الذي هو العظمة من أجل الذي اتَّضـــع وحده من أجلنا"، ومع هذه العبارة، كان من الضروري قبول الاسم الحسن، وكان اسم يسوع هو اسم تواضُع الرب؛ لأن الخلاص والمخلص كان تواضعه الفائق الذي جعله يأخذ صورة العبد، ومحبة اسم الرب، اسم الخلاص هو محبة ذاك الذي أحبنا لأنه محب البشر.

"المخافة من أجل الذي تألم بالجسد عنا وأقام غلبة الصليب".

إبصالية الخميس هي سياحة مع أركان التدبير، وإبصالية الجمعة هي اسم الرب والصليب لأن الجمعة هي جمعة الصلبوت. وتستمر الصلاة مع قبول الألم والانتصار، وهو ما جعل اسم الرب وعلامة الصليب معاً وحدة واحدة لا يمكن فصلهما.

أبي الواقف مع القوات السمائية،

لقد طُردتُ كما طُردتَ أنت، لكي أنعم بحرية حقيقية.

صلِّ لأجلي ولأجل الذين طردوني.

د. جورج حبيب بباوي